# المحاضرة العاشرة: علم الدّلالة وعلم النّفس

## مدخل:

يتساءل كثير من الباحثين عن طبيعة العلاقة بين علم الدّلالة وعلم النّفس، وهذا يحيلنا على سؤال جوهري: أين يوجد المعنى؟ طبعا اختلفت الآراء في الإجابة عن هذا التّساؤل، فمن الباحثين من قال إن معنى اللّفظ مجرّد وغامض، وما يشفّ عن غموضه هو مرجعه، وهذا رأي النظرية المرجعية، وهناك من ربط المعنى بالفكرة، فهو صورة ذهنية موجودة في الذّهن عند أصحاب نظرية الأفكار، والذي يعنينا في هذه المحاضرة هو رأي النّظرية السّلوكية، التي رأى أصحابها من الفلاسفة وعلماء النّفس وعلماء اللّغة أنّ «معنى العبارة هو الحافز الذي يدعو إلى التّلفظ بها، أو الاستجابة التي يستدعيها من المستمع» [1].

## أولا: تصوّرات النّظرية السّلوكية للمعنى:

لقد تبنّى **بلومفيلد** Bloomfield نظرياته في فهم المعنى على رواية جاك وجيل، فجيل تشعر بالجوع، وترى تفاحة، وعن طريق استخدام اللّغة تستدعي جاك بقصد الحصول عليها من أجلها، فهنا لدينا المثير أو الحافز (Stimulus) وهو الجوع، والذي يتولّد عنه رد فعل (Reaction) أو استجابة (Response) وهي اللّغة التي دفعت جيل للكلام في سبيل الحصول على التّفاحة [2].

هذا يعني أنّ ردّ الفعل الذي قامت به جيل لم يكن ردّ فعل حركي، ولكنّه ردّ فعل لغوي (Linguistic reaction)، لأنّ جاك كان بقربها، وهذا بدوره ولّد عند جاك ردّ فعل غير لغوي (Non-Linguistic reaction) والمتمثّل في محاولته الحصول على التفاحة من أجلها عبر حدث عملي (Practical event).

فالمعنى تبعا لنظرية بلومفيلد يتكوّن من العلاقة القائمة بين الكلام، وتلك الأحداث العملية أو الحركية التي تسبق الكلام أو تتبعه.

لقد أسّس هذا اللّغوي نظريته على أحداث مادّية محضة (Physical events) فكلٌّ من المثير والاستجابة يقومان على البعد المادّي المحض؛ فهي عند جيل تتمثّل في التفات عينيها، والموجات الضوئية الناتجة عن ذلك، وانقباض عضلات معدتها، والعصارات المفروزة داخلها، كما أنّ فعل جاك

---

[1] _ عبد المجيد جحفة: مدخل إلى الدّلالة الحديثة، دار توبقال للنّشر، الدّار البيضاء، المغرب، ط2، 2014، ص 31.

[2] _ ينظر: بالمر: علم الدلالة، المرجع السابق، ص 111-112.

في محاولة الحصول على التّفاحة لا تقلّ مادّية عمّا سبق [1]، ممّا جعل نظريته تغرق في الميكانيكية (Mechanistic) ويصعب عليها فهم بعض الحوادث المعنوية العقلانية كالأفكار (Thoughts)، والمفاهيم (Concepts)، والأَخْيِلَة (Images) والأحاسيس وغيرها.

كما ركّز بلومفيلد من جهة ثانية على العوامل العاطفية (Predisposing factors) السّابقة للحدث أو الموقف الكلامي، وتأثيرها الإيجابي في التّواصل بين المتكلّم والسّامع، غير أنّ هذا التّصور عارضه (Skinner) الذي أضاف فكرة التّعزيز (Reinforcement) إلى جانب المثير والاستجابة، فهي تزيد من قوّة الاستجابة تبعا للنّماذج التّجريبية التي أقامها على الحيوانات وخاصّة الفأر واستقباله لكرة الطعام بشكل انتظامي.

أمّا **تشومسكي** (Chomsky) فقد لفت النّظر إلى حقيقة أنّ اختلاف ردود الأفعال مرهون باختلاف المثيرات مشتملا في ذلك الأحداث التّعزيزية المساعدة على بنائها [2]، ذلك أنّ ردود الأفعال يمكن ملاحظتها بوصفها استجابات لمثيرات معيّنة تتطلّبها ومرهونة بها.

تفترض النّظرية السّلوكية إذا «أنّ المعاني ما هي إلاّ انعكاس لوضعية محفّزة، أو لاستجابة بالمعنى النفسي»[3]، ولتفسير ذلك نأخذ المثال الآتي:

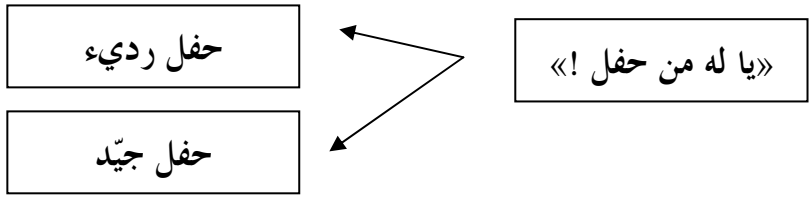


إنّ تلفّظنا بالجملة السّابقة: «**يا له من حفل !** » يمكن قراءة معناه من زاويتين؛ إذ يقدّم لنا النّصّ وضعيتان محفّزتان، لا تقتضيان سلوكين لغويين مختلفين بالضّرورة، فقد لا يكون هناك حفل أصلا، وقد يُتلفّظ بالجملة استهزاء بحيث لا يوجد حفل بالمرّة.

أمّا بخصوص الاستجابة فقد لا تكون بالضّرورة قائمة على (تلفّظ) أو سلوك لغوي محدّد، فقد أشدّ على يد المتكلم بحرارة استحسانا، أو أرسم على وجهي تجهّما استنكارا، فتنوب بذلك العلامات غير اللّسانية مكان العلامات اللّسانية. وقد أغيّر موضوع الحديث، فالحافز هنا خلق استجابة غير

---

[1] _ ينظر: بالمر: المرجع السّابق، ص 112.

[2] _ ينظر: المرجع نفسه، ص 117.

[3] _ عبد المجيد جحفة: المرجع السابق، ص 31.

لغوية وليست بالضرورة لغوية كما تقول هذه النّظرية. ممّا يوسّع مجال انتقاد أفكارها القائمة على أسس مادّية، مركّزة على السّلوك اللّغوي ومهملة الخطاب الحركي الذي يكون له معنى أيضا، ويمثّل طريقة من طرق التّعبير بالموازاة، وهذا يجعل هذه النّظرية القائمة على الحافز والاستجابة نظرية صعبة البناء، وصعبة الفهم نظرا منطلقاتها المادّية.

## ثانيا: الطّرح النّفسي للمعنى/ المقاربة النّسبية للمعنى:

سبق لنا الحديث عن المعنى في النظرية السّلوكية وكيف نُظر إليه بعدّه ثنائية مكوّنة من مثير واستجابة، وعلينا بالمقابل أن نقف عند تصوّر نفسي آخر حاول إدراك المعنى عبر تمثيلات ذهنية دالّة ترتبط بالشّكل المنطقيّ للجملة، فكانت **نظرية نفسية معرفية**؛ وهي تفترض «أنّ الجانب المعرفي عند الإنسان هو ذلك العنصر الذّهني باعتباره القاسم المشترك بين بني آدم، بهذا تكون اللّغة، وهي عبارة عن رموز وعمليات خوارزمية تعالج هذه الرّموز، لغة تعكس الفكر البشري، أي تعكس ما يقوم به من عمليات ذهنية، وتكون الرّموز اللغوية تمثيلات داخلية لحقائق خارجية»[1] أي أنّ الرّموز اللغوية هي ذات معنى، وهذا المعنى متمركز في الذّهن الإنساني يقدّم تصورات عن العالم الخارجي، الذي هو بدوره مستقلّ عن العمليات الذّهنية عند البشر؛ فالمقاربة النّفسية تركز على عدم قيام علاقة قويّة ومباشرة بين المتكلّم والعالم الخارجي في بناء المعاني.

نستنتج ممّا سبق ذكره أن اللّغة أضحت موضوعا هامّا من موضوعات علم النّفس، بل أضحى المعنى النّفسي مجالا خصبا للمقاربة النّفسية، فهو جزء لا يتجزأ من هندسة الذّهن الإنساني، ولعلّ تشومسكي في نظرية النّحو التوليدي أكثر الدّارسين، الذين نظروا إلى اللّسانيات بعدّها جزءا من علم النّفس ومن العلوم الطبيعية، فجعله هذا ينظر إلى المعنى بالمنظور ذاته، مادام المعنى يمثل موضوع علم الدّلالة، وعلم الدّلالة جزء من اللّسانيات، فالناتج أن المعنى جزء من علم النفس.

لقد وقفت النّظرية التوليدية عند البنى الدّلالية [*] محلّلة إيّاها وفق مقياسين [2]:

أ-يجب أن تكون البنى الدّلالية ذات واقعية نفسية (Psycholgical Reality)؛ والواقعية هي أن يعكس التّمثيل (أي البنية الدلالية) ما يفترض أنّه ممكن كسيرورة ذهنية لدى المتكلم، (الفونيم

---

[1] _ عبد الحميد جحفة: المرجع السابق، ص 52-53.

[*]-**البنى الدّلالية**: هي المعلومات التي تصل إلى الذهن عن طريق اللغة.

[2] _ ينظر: عبد الحميد جحفة، المرجع السّابق، ص 56-57.

مثلا، كيان غير موجود فيزيائيا، إلاّ أنّ له واقعا نفسيا، أي أنّه يقابل الصّوت المتلفّظ به الذي له واقع فعلي).

ب-على مستوى التّمثيل، ينبغي أن تكون المعلومات الآتية من اللّغة والمعلومات الآتية من الأنسقة الإدراكية المختلفة معلومات متجانسة.

ويبدو أنّ تفسير المعاني قد ازداد عمقا في المقاربة النّفسية (التّصورية) والبعد المعرفي، فظهرت بذلك طروحات ثلاثة حاولت تفسر كيفيات تحصيل المعنى وهي كالآتي [1].

-القيد المعرفي في نظرية الدّلالة التّصورية، جاكندوف (1983).

-دلالة الأطر والفهم الموحّد، فيلمور (1984).

-الفضاءات الذّهنية والمستوى المعرفي، فوكونيي (1985).

[1] _ ينظر: تفصيل هذه النظريات، المرجع نفسه، ص 59-63.